كلمات

العقل

يزعم بعضهم ان العرب قالوا: «عين القلب»، ثم نحتوا من الكلمتين كلمة واحدة هي «العقل»!

ما من نصّ يؤيد هذه الاستعارة، والعلم في عصرنا لا يستند إلى مجرّد تخيّلات بل إلى شواهد نصية محسوسة ملموسة. استنبطتُ شخصياً استعارات جديدة تلائم الذائقة العربية ومقتضيات الفكر الفلسفي وما إليه، ولكنّ الامر غير مقبول ههنا.

أنّى لبعضهم أن ينحتوا لفظة «عقل» من «عين» و«قلب»، في المعاجم معانٍ كثيرة للفظة «قلب» ومنها معنى «عقل». ولكنّ العربية لغة اشتقاق اكثر منها لغة نحت، فالبسملة والحمدلة والحوقلة منحوتة تباعاً من: بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة.

يقول بعضهم ان قولنا بأن العقل مصدره «عق» الثنائي، معقول ومقبول، لأن العقة هي البرقة المستطيلة في السماء. وهل العقل سوى وميض نفس أو «عين قلب»؟

أرجّح ان العقل مشتقٌّ من «عقّ»، لا شك في ذلك. ولكن هذه المادة لا تدل أبداً على «العين أو الوميض أو البرق»، بل هي، في أصلها ومشتقاتها، تعني «الشق أو الخرق أو السهم».

فمن شاء الاطمئنان إلى ذلك وتفصّلاً، ما عليه سوى مراجعة أمّات كتب اللغة. من ذلك ما جاء في «تاج العروس» (٧–١٦ يي): «انعقت السحابة. تبعّجت بالماء وانشقت». وكل انشقاق هو انعقاق. يقال: انعقّ الثوب، أي انشقّ، وعقّ وانعقّ البرق: انشق وتسرّب في السحاب. والتركيب يدل على الشق، وإليه ترجع فروع الباب بلطف ونظر. العقيقة والعقّ: البرق إذا رأيته وسط السحاب كأنه السيف المسلول (أي حين يخرق أو يشقّ السحاب، شق السيف النافذ). والعَقّة: الحفرة العميقة في الأرض.

العقل إذاً كلمة عربية قحة، لا غبار عليها. فلا حاجة الى استعارتها من لغة أجنبية. وهي لا تدل على «العين» أصلاً، لا في العربية، ولا في اللاتينية التي درّستُها سحابة ٤٥ سنة في الجامعات، ولا هي منحوتة من «عين القلب»، ولا تطلق على الوميض، ولا على البرق بوصفه لامعاً. العقل كلمة مشتقّة من «عَقَلَ» الدال على الربط والايثاق. وهذا الثلاثي من المرجّح انه ناجم عن الثنائي «عَقّ» المراد به الشقّ والخرق والرمي. ومن الشقّ نشأ معنى المنع والصدّ. وهو عمل العقل من الباب الأدبي. وقد ينطبق هذا القول على لفظة «المنطق» المتفاعل والعقل. وعلى مثقفينا أن يدركوا ان العقل، على اتساعه وانفتاحه، هو قدرة للكائن الذاتي وليس مجرّد انعكاس للخبر والأحداث، وان التفسير الذي يلجأون إليه في تفكيرهم عملية تجري على تخوم العقل، فلا هو عملية عقلية خالصة، ولا هو عملية غير عقلية كلياً. انه عملية مركّبة من إدراك استدلالي ومن حدس تفهّمي. فلنركن إليه على أنْ نروّجنّه لئلا يمسي جرثومة الحروب كلها!

د. جهاد نعمان
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه